وقائع عاصفة

تابع المواطنون في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقائع المفاوضات السلمية في مدريد، منذ الثلاثين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩١، بتعبيرات تراوحت بين التأييد والمعارضة. فقد سار ثلاثة آلاف متظاهر في قطاع غزة يرفعون أغصان الزيتون تأييداً لعملية السلام. وقام بعض المتظاهرين، في خطوة وصفت بأنها الأولى من نوعها، منذ الاحتلال الاسرائيلي للضفة والقطاع، بتوزيع أغصان الزيتون على جنود احدى الدوريات العسكرية. وبالمقابل، حرق متظاهرون معارضون لعملية السلام، مؤيدون لـ «حماس» علماً اسرائيلياً، وهتفوا ضد مؤتمر السلام. كما دعت الفصائل الفلسطينية المعارضة للمؤتمر وتضمّ «حماس» والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية (جناح حواتمة) الى اضراب عام في غزة والخليل ومناطق أخرى، وسط توتّر متصاعد أدّى الى مشاجرات بين المؤيدين والمعارضين، واشتباكات بالأيدي بين عدد من أنصار «فتح» ومؤيدين لـ «حماس» (**الحياة**، لندن، ٣١/١٠/١٩٩١). وكانت فتح والجبهة الشعبية اصدرتا، في وقت مبكر قبل ذلك، بياناً مشتركاً حذّر ممّا «يخطط له العدو لضرب الوحدة الوطنية، وتدمير انجازات الشعب الفلسطيني، وتفتيت صفوفه». وأكد البيان «حماية م.ت.ف. والتمسّك بها، وعدم المساس بتمثيلها، ووحدتها على أساس ثوابت النضال الوطني. وان يستند أي نشاط، أو حركة سياسية، الى الشرعية الفلسطينية، والعربية، والدولية، والا يقود الخلاف القائم، حالياً، الى التهاون في المسائل الجوهرية» (**المصدر نفسه**، ٣٠/١١/١٩٩١).

وعلى الرغم من الخلافات التي ظهرت في هذا السياق، فقد تابع المواطنون التعبير عن مواقفهم المؤيدة والمعارضة للمشاركة في عملية السلام. فقد انطلقت عشرات الحافلات والسيارات، من مخيم قلنديا، القريب من القدس، في ثاني أيام مؤتمر مدريد، تعبيراً عن تأييد المشاركين فيها للمؤتمر. كما انطلقت مسيرات أخرى مؤيدة في كل من رام الله وقلقيلية وغزة وجنين (**الرأي**، عمّان، ١/١١/١٩٩١). وشهدت غالبية مدن وقرى ومخيّمات الضفة وغزة، في اليوم الثالث للمؤتمر، مسيرات جماهيرية حاشدة، ومهرجانات خطابية تأييداً للمؤتمر ودعماً للوفد الفلسطيني وم.ت.ف. كان أضخمها نُظّم في رام الله وجنين وخان يونس ورفح وفي بعض ضواحي القدس. في غضون ذلك، فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلية حظر التجوّل على غزة ومخيمات الشاطىء وجباليا والبريج ودير البلح والنصيرات في القطاع، وعلى قرية بيت ريما، في الضفة في أعقاب القاء زجاجة حارقة باتجاه دورية عسكرية. وكان مواطنون القوا زجاجة أخرى على مركز للشرطة في رام الله، وعلى أهداف عسكرية اسرائيلية في نابلس والخليل وجنين. فيما اعترضت قوات اسرائيلية متظاهرين رافضين لعملية السلام في مخيم الدهيشة. وفرّقت قوات أخرى تظاهرة لمؤيدين سارت في طولكرم (**الدستور**، عمّان، ٣ و٦/١١/١٩٩١). وكانت قوات الاحتلال شنّت حملة اعتقالات طاولت عدداً من المواطنين في مناطق بيت لحم ونابلس وطولكرم والخليل وغزة وجنين (**الرأي**، ١/١١/١٩٩١). وأُطلقت النار، في وقت سابق، على مواطنين في الخليل، فقتلت سفيان منصور ناصر الدين وأصابت آخرين بجروح (**الحياة**، ٣١/١٠/١٩٩١).

تحوّلات كبيرة

بعد عودتهم من مدريد، باشر أعضاء الوفد الفلسطيني نشاطاً سياسياً مكثّفاً استهدف الردّ على تساؤلات المواطنين وشرح بعض القضايا والمواقف المتعلّقة بالمفاوضات. وللمرة الاولى منذ وقت طويل دخل أعضاء الوفد والمواطنون في حوارات جدّية معلنة. وأُطلقت النقاشات في مختلف مناطق الضفة